واشنطن تستنجد بأوروبا للخروج من ورطة العراق

21-11-2003

باتت الإدارة الأمريكية تتطلع إلى مساعدة أوروبية لتخليصها من الورطة العراقية، ولكن الدور الأوروبي الذي ترغب فيه إدارة بوش تقف أمامه عقبات عدة. هناك في المقام الأول الخلافات الأوروبية الأمريكية التي تعمقت بشكل أكبر خلال وبعد الحرب على العراق في مارس الماضي، وهي تخص ملفات عدة وعلى رأسها العقوبات التي فرضها الاتحاد على الولايات المتحدة في قضية الصلب، ومشروع الدفاع العسكري الأوروبي المستقل عن الحلف الأطلسي الذي ترفضه واشنطن، وقضية سجناء غوانتانامو التي طالبت أوروبا بتسويتها

بقلم **إدريس الكنبوري**

يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه الخيار الأصعب في العراق. فبعد الأيام الدامية الأخيرة التي تكبدت فيها قوات التحالف الأمريكي البريطاني خسائر بشرية فادحة جعلت الكثير من المعلقين الأوروبيين والأمريكيين يتحدثون عن"نوفمبر الأسود" بالنسبة للإدارة الأمريكية في العراق، حيث سقط أزيد من عشرين قتيلا في صفوف الجنود الأمريكيين خلال أسبوع واحد فقط، تواجه إدارة جورج بوش خيار إعادة النظر في استراتيجيتها العراقية، تشمل الشق السياسي والعسكري والديبلوماسي معا. ففي تحول بارز سافر الحاكم الأمريكي في العراق بول بريمر إلى واشنطن على عجل يوم 12 من الشهر الحالي لمقابلة المسؤولين في البيت الأبيض وتقويم التجربة العسكرية في العراق بعد ثمانية أشهر من الحرب، ما يعني أن السياسة الأمريكية فشلت حتى الآن في التعاطي مع الشأن الداخلي للعراق بحسب ما خططه في البداية المحافظون الأمريكيون الجدد، فيما أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية(البنتاغون) قبل يومين أنها بصدد التفكير في استخدام المروحيات في العراق بعد إسقاط المقاومة العراقية لمروحيتين أمريكيتين في الأيام الأخيرة الماضية، كبرهان آخر على فشل الخطط العسكرية لوزارة دونالد رامسفيلد.

لماذا ذهب باول إلى بروكسيل؟

ويظهر أن أيام"العسل" بالنسبة للأمريكيين في العراق لم تكن طويلة كما توقعها بوش والدائرة المحيطة به، وأن الإحتلال لم يكن نزهة في خلاء. فقد ارتفعت نسبة الأمريكيين الذين لم يعودوا يثقون في جورج بوش إلى 58% خلال الأسابيع الأخيرة، ما يعني أنه يواجه فشلا ذريعا في انتخابات الرئاسة المقررة في نوفمبر من العام المقبل، أما وسط الجنود الأمريكيين في العراق، فتحدثت مجلة "ستارز آند سترايبز" الناطقة باسم الجيش الأمريكي مؤخرا عن هبوط كبير في معنوياتهم القتالية، كما انتشرت بينهم ظاهرة الانتحار بسبب الظروف الصعبة وارتفاع وتيرة المقاومة العراقية وانتقالها إلى مستوى أكبر لم يكن متوقعا في السابق. وقد تبين أن الإدارة الأمريكية لم تعد تضع ثقتها في مجلس الحكم العراقي المعين الذي تخترقه الخلافات الداخلية، وفشلت في إيجاد شخص يمكن تحويله إلى"حامد قرضاي" عراقي على غرار ما فعلت في أفغانستان، إلى

الحد الذي أصبح يروج معه الحديث عن استبدال هيئة أخرى به.
التحول المفاجئ في السياسة الأمريكية العراقية عبرت عنه الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الأمريكي كولن باول إلى بروكسيل يوم الثلاثاء الماضي، وهي تشكل تحولا لثلاثة أسباب على الأقل: الأول أنها جاءت أياما فقط بعد استطلاع الرأي الأوروبي الذي قالت فيه نسبة 53% من الأوروبيين أن الولايات المتحدة تشكل خطرا على السلام العالمي، وهو استطلاع كان له تأثير على الإدارة الأمريكية بالرغم من تصريحات التلطيف التي أدلى بها بعض المسؤولين الأوروبيين لتخفيف الوقع على الأمريكيين، والثاني أنها جاءت في ظل انتقادات بعض الدول الأوروبية خاصة فرنسا لسياسة البيت الأبيض في العراق ومطالبتها بنقل السلطة إلى العراقيين "في أقرب وقت" كما صرح بذلك وزير الخارجية الفرنسي دومينيك دوفيلبان هذا الأسبوع، أما السبب الثالث فهو يتعلق بفشل الإدارة الأمريكية في تدبير الملف العراقي واصطدامها بمقاومة عنيفة تجاوزن حدود المتوقع.
رسالة من الاتجاه المقابل
الإدارة الأمريكية باتت تتطلع إلى مساعدة أوروبية لتخليصها من الورطة العراقية، ولكن الدور الأوروبي الذي ترغب فيه إدارة بوش تقف أمامه عقبات عدة. هناك في المقام الأول الخلافات الأوروبية الأمريكية التي تعمقت بشكل أكبر خلال وبعد الحرب على العراق في مارس الماضي، وهي تخص ملفات عدة وعلى رأسها العقوبات التي فرضها الاتحاد على الولايات المتحدة في قضية الصلب، ومشروع الدفاع العسكري الأوروبي المستقل عن الحلف الأطلسي الذي ترفضه واشنطن، وقضية سجناء غوانتانامو التي طالبت أوروبا بتسويتها في القريب العاجل، ثم الملف الإيراني الذي توصلت فيه ثلاثة دول من الاتحاد في الشهر الماضي إلى تسوية له ولكن الإدارة الأمريكية تصر على أن تدين الوكالة الدولية للطاقة الذرية الملف النووي الإيراني لتتمكن من رفع القضية إلى مجلس الأمن الدولي، ويأتي بعد هذه الخلافات الملف العراقي ومطالبة أوروبا بالإسراع بتسليم السلطة إلى العراقيين، مع ما يعنيه ذلك من إقرار أمريكي ضمني بأنها فشلت، وبأن مبدأ الحرب بالتالي كان خاطئا من أساسه.
وقد وجه كولن باول في لقاء له مع جريدة "لوموند" الفرنسية يوم 19-11-2003 لدى زيارته إلى بروكسيل عدة رسائل إلى زعماء الإتحاد الأوروبي بغية التخفيف من أجواء الاحتقان السائدة بين إدارته وبين الاتحاد، وحرص على أن يرد على موقف زميله وزير الدفاع رامسفيلد الذي وصف فرنسا وألمانيا وبلجيكا، أي معسكر ما سمي بـ"كتلة السلام" في الإتحاد الأوروبي المعارض للحرب، بـ"أوروبا العجوز" قبل بداية الحرب في شهر مارس الماضي، وقال باول عن العلاقة بين إدارته وبين دول الاتحاد "إننا نلتقي من جديد، والمجتمع الدولي يلتقي". في الاتجاه المقابل كانت زيارة جورج بوش إلى بريطانيا يوم الثلاثاء الماضي إشارة مغايرة لإشارة باول، للتأكيد على أن هناك "أوروبا أخرى" معاكسة للمحور الفرنسي الألماني المناهض للسياسة الأمريكية في العراق، ذلك أن لندن هي جزء من قوات التحالف العسكري المحتل، ولكن زيارة بوش للندن لا تحمل أكثر من طابع رمزي لإظهار قوة التحالف بين الدولتين الذي يتعرض لسيل من الانتقادات بسبب الأوضاع في العراق، بينما تظل زيارة باول علامة على التوتر الكبير بين

ضفتي الأطلسي، ومحاولة لرأب الصدع واستجلاب الدعم الأوروبي للاستراتيجية الأمريكية الجديدة في العراق.

واشنطن تقترب من الموقف الأوروبي

وما وصفه كولن باول بأنه لقاء بين الإدارة الأمريكية وبين الإتحاد الأوروبي يرى فيه المسئولون الأوروبيون تقربا أمريكيا من أوروبا، أي أن واشنطن هي التي قامت بتقديم تنازلات في الملف العراقي، وقال أحد الدبلوماسيين الفرنسيين لم يذكر اسمه لصحيفة "لوفيغارو" أول أمس الأربعاء "ينبغي أن نساعد الأمريكيين للتفاوض حول صيغة للخروج من المأزق العراقي، إذا كان ما يزال هناك وقت"،

فهناك شعور لدى الأوروبيين بأن الولايات المتحدة بعد تورطها في المستنقع العراقي تريد الاستنجاد بهم لبحث وسيلة مناسبة للهروب، وهذا ما قد يحرج صقور الإدارة الأمريكية، لأنه يعطي المصداقية للمواقف الفرنسية والألمانية التي عارضت الحرب.

وبالنسبة لأوروبا، فإن مجرد قبول واشنطن الاستماع إلى وجهة النظر الأوروبية في الشأن العراقي يعد انتصارا لموقفها، غير أن الأوروبيين لا يزالون غير واثقين من النوايا الأمريكية، فهم يرفضون تأجيل الانسحاب العسكري إلى شهر يونيو القادم، وإنشاء حكومة عراقية في نهاية عام 2005 بعد وضع دستور جديد للعراق، بينما اقترحت روسيا مؤتمرا دوليا لوضع خطة لنقل السلطة إلى العراقيين.

وفي خضم الحيرة الأمريكية بين جلب الدعم الأوروبي والرغبة في المسارعة للتخلص من المأزق العراقي، من المتوقع أن يتجدد الجدل بين الأوروبيين والأمريكيين في حال تقدمت واشنطن وبريطانيا بقرار أمام مجلس الأمن يسمح بنقل السلطة إلى الشعب العراقي.